Current Studies in Nahj-ul-Balaghah Open Access

Vol. 8, No. 2, (Issue 16) Spring & Summer 2025: 31-48
DOI: 10.30473/anb.2026.74274.1445

ORIGINAL ARTICLE

Surface and Deep Structure in the Peacock Sermon from Nahjul Balagha According to Noam Chomsky's Generative Transformational Theory

Nader Behmaram[1], Ahmad Arefi[2*], Shahnoor Mahmoodzahi[3]

1. Nader Behmaram: Master of Arabic Language and Literature, Shahid Madani University of Azerbaijan, Tabriz, Iran.
2. Ahmad Arefi: Ph.D. in Arabic language and literature, Allameh Tabatabai University, Tehran, Iran.
3. Shahnoor Mahmoodzahi: Master of Arabic Language and Literature, University of Sistan and Baluchistan, Zahedan, Iran.

Correspondence:
Ahmad Arefi
Email: ahmad.arefi@yahoo.com

Received: 14 Apr 2025
Accepted: 26 May 2026

How to cite
Behmaram, N, Arefi, A. & Mahmoodzahi, SH. (2025) Surface and Deep Structure in the Peacock Sermon from Nahjul Balagha According to Noam Chomsky's Generative Transformational Theory. Current Studies in Nahj-ul-Balaghah, 8(2), 31-48.
(DOI: 10.30473/anb.2026.74274.1445)

ABSTRACT

Nahj al-Balagha includes its sermons, its names, and the words of Imam Ali (peace be upon him). Tawus Sarshar's sermon is in the manner of deletion, Afzaishi, jaegsini, its arrangement and its syntactic movement according to the theory of Samsky. Literary and elemental, such as the one that brings out the feelings of an unseen addressee, or in the middle of a peacock and costume, with a varied ring to it, in a way that makes you feel the greatness of Afarinandeh's wonderful cheek. Oh, Miranda, you're like a peacock and your lips are made to be hot. The necessity and goal of achieving this story in Imam's sermon is Tawoos Ra Sarshar, the elements of the sentence, such as deletion, addition, verbs, arrangement, and constitutional movements of the name and word of mouth for the purpose of making a decision. This is an article about the sermon of Imam Ali (peace be upon him) by Tawoos, with a descriptive and analytical review and an explanation of the theory of Jamski's theory. The results of Tawoos's speech were intended to explain what Afrinsh Tawoos is and how great the Creator is, with the eloquence of Jamski's theory and the elements of his speech. As for baristrin and precarbarditrine, it is a deletion by deleting an active participle in the direction of centering on the cheek of an event for the sake of finding a peacock and the greatness of the Creator. Confusion between a sentence, "I came to a peacock" in the text, with appropriate use of the word "ha" on the cheek and pointing to it, "this is a peacock's tree" and with a skillful use of rhetorical elements in this phrase, not like a simile or a metaphor with it. It is a kind of simile and a skillful use and success in a sentence. This is an actual predicate in the past. Or a condition in which there is a form of renewal, occurrence, continuation, and existence with the use of a sentence, "this is a noun" for the sake of a permanent and continuous existence, so that in front of a noun, it has a subject, a subject, a focus of speech, and a subtractive direction. Benabrain, Sarshar's sermon, using a simile and a metaphor, is a simile, a metaphor, and a literal meaning.

KEYWORDS

Nahjul Balagha, The Peacock Sermon, Noam Chomsky, Transformational Generative Grammar, Surface and Deep Structure.

Copyright © 2025 The Authors. Published by Payame Noor University.
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/). Non-commercial uses of the work are permitted, provided the original work is properly cited.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

السنة الثامن، العدد الثاني (المتوالي ١٦) ربيع و صيف، ١٤٠٤ش/ ١٤٤٧ق. (٣١-٤٨)

DOI: 10.30473/anb.2026.74274.1445

«مقاله پژوهشی»

البنية السطحية والعميقة في خطبة الطاؤوس لنهج البلاغة وفق النظرية التوليدية التحويلية لنعوم تشومسكي

نادر بهمرام[١]، أحمد عارفي[٢]*، شهنور محمودزهی[٣]

١. الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد مدني بأذربايجان، تبريز، ايران.

٢. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة الطباطبايي، طهران، إيران .

٣. الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة سيستان وبلوشستان، زاهدان، إيران.

المؤلف المسؤول:
أحمد عارفي

بريد االكتروني:
ahmad.arefi@yahoo.com

تاريخ القبول: ١٤٤٦/١٠/١٥
تاريخ الاستلام: ١٤٤٧/١٢/٠٩

إرسال الاستشهاد إلى:
بهمرام، نادر؛ عارفي، أحمد و محمودزهی، شهنور. (١٤٤٧). البنية السطحية والعميقة في خطبة الطاؤوس لنهج البلاغة وفق النظرية التوليدية التحويلية لنعوم تشومسكي. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*، ٨(٢)، ٣١-٤٨.
(DOI: 10.30473/anb.2026.74274.1445)

المخلص

يشمل نهج البلاغة خطبا ورسائل وكلمات قصار يشحنها الإمام بالبدائع الأدبيّة والتربوية والأخلاقية. تمتلئ خطبة الطاووس من عناصر التحويل كالحذف والزيادة والاستبدال والترتيب والحركات الإعرابية وفق نظرية تشومسكي وتكون بنيتها العميقة ذات دلالات مختلفة، فتتحدَّث عن الطاووس وعجائب خلقته بالأسلوب الأدبي مستعينا بعناصر تؤدّي إلى تحريك عواطف المتلقي لتساعده في فهم خلقة الطاووس وجماله مع ألوانه المختلفة ليصل إلى تحسين الله وتعظيمه بوصفه خالقَه البارئ المصور. تدرس المقالة خطبة الطاووس وفقا للمنهج الوصفي التحليلي مستعينا بالنظرية التوليدية التحويلية. تظهر نتائج البحث بأن نظريّة تشومسكي وعناصر التحويل تتجلّى في خطبة الطاووس، ليبين المتكلم عجائب خلقة الطاووس وعظمة خالقه البارئ المصور من خلال عناصر التحويل، فمن أبرزها في هذه الخطبة وأكثرها تداولا هي تحويل الحذف بحذف الفاعل واستخدام الأفعال المبنية للمجهول لتركيز انتباه المتلقي للحدث دون المحدث لإظهار جمال الطاووس وبديع خلقه وإظهار عظمة الله من خلال خلقة الطاووس، وتحويل الزيادة بزيادة حروف العطف متناسبا مع الأغراض لإيجاد التناسق والوحدة بين أجزاء الكلام لإضفاء جمالية الخطبة، ولإظهار أن هذا التناسب والتلاؤم والوحدة بين أعضاء الطاووس سبب جمال خلقته وعجائبه. وتتم هذه الجماليات باستخدام كل من عناصر التحويل في موضعه اللائق وباستخدام الجمل الخبرية الفعلية بتقديم الفعل الماضي أو المضارع للإخبار عن أمور بالتجدد والاستمرار، وفي بعض الأحيان باستخدام الجمل الاسمية للدلالة على الثبوت والدوام، فيقدم فيها الإمام الاسم الذي في محور الكلام والاهتمام. ووظف من خلال هذه العناصر التحويلية، التشبيه كأبرز أسلوب الخطبة والاستعارة كنوع من التشبيه والمجاز ببراعة، فتمتلئ منهما الخطبة وتتلائم فيها البنية السطحية والبنية العميقة معاً، حيث تكون البنية السطحية صورة ناطقة للبنية العميقة وتتلائم معها.

الكلمات الدليلية:

نهج البلاغة، خطبة الطاووس، نعوم تشومسكي، النظرية التوليدية التحويلية، البنية السطحية والعميقة.

حق نشر هذه الوثيقة يعود لمؤلفيها. ١٤٤٧. ناشر هذه المقالة هو جامعة بيام نور.

تم نشر هذه المقالة بموجب الشهادة التالية ويسمح بأي استخدام غير تجاري لها بشرط االستشهاد بالمقالة بشكل صحيح وبما يتوافق مع الشروط المذكورة في العنوان أدناه.

Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

المقدّمة

يعد نعوم تشومسكي أكبر عالم لساني في العصر الحديث، حيث أبدع نظريته التوليدية التحويلية وقام معها بإيجاد ثورة عظمية في اللسانيات كردة فعل على الوضعيين والسلوكيين والبنيوية وآراء فرديناند دي سوسير كأب البنيوية التي تدرس البنيويةُ البنيةَ السطحيةَ، بغض النظر عن دراسة البنية العميقة، فنقدها تشومسكي وطرح البنية العميقة وجعلها كحجر أساس يصل الباحث إليها من خلال البنية السطحية التي تعد آلية وخادمة لكشف البنية العميقة التي تكون من المسائل الجوهرية في نظريته. وإن الإمام علي (ع) عالم أديب وشاعر مفلق، فصيح النظم، ضخم الألفاظ، قادر على القريض، متصرف في فنونه، إن قصد الرقّة في النسيب أتى بالعجب العجاب، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لايشقّ فيه غباره، وإن قصد في المراثي جاء سابقا والشعراء منقطعة أنفاسها على أثره وكلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة، فهو جعل تناسبا وتلاؤما وتناسقا بين البنية العميقة أو النوايا والبنية السطحية أو الألفاظ الموحية المثيرة، حيث جعل الألفاظ صورا ناطقة للمعاني، في نهج البلاغة الذي يُعدُّ كتابا جامعا للمعارف الإلهية والأسرار النبويّة والأحكام الإسلاميّة والقواعد السياسيّة، فمن نظر في نهج البلاغة وتعمق في خطبه ورسائله، يرى نفسه مع خطيب وأمير إلهي يتكلم في التوحيد ويبحث عن أسرار الكائنات ويكشف غوامض المسائل ويشرح مكنون العلم. فنهج البلاغة كتاب عبّر عنها الإمام فيها كلامها على أساس النحو والتراكيب النحويّة التي يجمع فيه اتحاد الألفاظ والمعاني ويدور على مدار النظم والاعتدال (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ١، ١٦ و ٢١)؛ (البيهقي، ١٣٧٥: ١/ ٣-٤)؛ (البحراني، ١٣٧٩: ١/ ٨ و ١٩-٢٣)، فيذكر معانيَ شريفةً أخلاقيةً في البنى العميقة من خلال البنى السطحية في استخدام الكلمات والعبارات المتناسبة مع المعاني، حيث جعل البنية السطحية والعبارات والألفاظ صورة ناطقة للبنية العميقة والمعاني والمضامين التربوية والأخلاقية في نهج البلاغة الذي جمعه شريف الرضي في العصر العباسي، وهو يشمل خطبا ورسائل وكلمات قصار يحوي مضامين عليا أخلاقيّة وتربويّة يشحنها الإمام من المضامين القرآنيّة. خطبة الطاؤوس واحدة من خطب نهج البلاغة التي تحدّثَ فيها الإمام في البنية السطحية عن عجائب خلقة الطاؤوس وبدائعها وفقا للتراكيب النحويّة وعناصر التحويل التي ذكرها تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية.

تدرس هذه المقالة البنية الفوقية العميقة لخطبة الطاؤوس للإمام علي (ع) بالمنهج الوصفي التحليلي المنهج الوصفي- التحليلي مستمدا من النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي للوصول إلى البنى التحتية ومقاصد المتكلم من خلال الأسئلة التالية:

- ما أبرز عناصر التحويل الّتي وظفها الإمام في خطبة الطاؤوس في البنى الفوقية وفق النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي؟
- ما هي المقاصد التي تكمن في البنية التحتية في خطبة الطاؤوس وفقا للنظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي؟

الفرضيات

- أبرز عنصر التحويل في هذه الخطبة هو الحذف للتركيز على الحدث دون فاعله؛ لأنه تحدث عن حدث خلقة الطاووس وبدائعه.
- إظهار بدائع خلقة الطاؤوس وعظمة الله من مقاصد الإمام في البنية العميقة متناسبة مع البنية السطحية.

الدراسات السابقة

لقد تناول الباحثون نهج البلاغة وخطبة الطاووس والنظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي. فنشير إلى بعضها باختصار:

كتاب «تشومسكي» لجان لاينز (١٣٧٦ش) الذي تَرجَمَه أحمد سميعي بالفارسية. هذا الكتاب من أهم الكتب الَّتي بَيَّنَ

شخصية تشومسكي ونظريته التوليدية التحويلية باللغة الساذجة البسيطة، وشرح عناصر التحويل دون تطبيق النظرية على النصوص.

مقالة «الإيقاع الصوتيي في نهج البلاغة: خطبتي «الشِّقشقية» و«خلقة الطاووس» أنموذجاً» (١٤٣٦ق) لروح الله نصيري. درس الباحث في هاتين الخطبتين الإيقاعَ الصوتي ودلالاته الإيحائيّة الّتي يريدها الإمام (ع)، فساعده الإيقاع في بيان المعاني.

رسالة ماجستير «ساختار كلمات قصار نهج البلاغه بر مبناى الگوى زايشى گشتارى نوآم چامسكى» (١٣٩٦ش) لحسين عبدي تحت إشراف أحمد نميرات من جامعة كردستان. درس الباحث فيها بنية الكلمات القصار لنهج البلاغة، واستنتج أن الإمام استخدم الإمكانيات اللغوية المتنوعة كعناصر الزيادة والحذف والاستبدال لكشف المعاني.

أطروحة الدكتوراه «أساليب البديع في نهج البلاغة، دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية» (٢٠١١م) لخالد كاظم حميدي الحميداوي تحت إشراف الأستاذ مشكور كاظم العوادي. تناول البحث في نهج البلاغة أساليبَ البديع متناسبا مع المعاني الجماليّة وفق المنهج الوصفي التحليلي، واستنتج أن نهج البلاغة مشحون بالأساليب البيانية.

رسالة ماجستير «تحليل رمان زقاق المدق بر اساس نظريه‌ى زاياگشتارى نعام چامسكى» (١٤٠٠ش) لنكيسا يگانگى تحت إشراف حميدرضا مشايخي من جامعة مازندران. درست الباحثة فيها رواية زقاق المدق وفق نظرية تشومسكي، واستنتجت أن هذه الرواية كتبت وفق عناصر التحويل، فتكون فيها عنصر الحذف والاستبدال والتقديم لإزالة الإبهام عن لغة الرواية لكشف المعاني، وأن محفوظ ذو قوة لغوية خاصة في الرواية، حيث يؤثر كثيرا على المخاطبين.

مقالة «تحليل آراء محمد حماسة عبد اللطيف النحويّة وفقاً لنظرية تشومسكى التوليديّة التحويليّة» (١٤٠٢ش) لأحمد پاشازانوس والآخرين في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان العدد ٣٧ الذين يحللون آراء عبد اللطيف النحوية وفق نظرية تشومسكي، واستنتجوا أن في نظريات عبد اللطيف اشتراكات كثيرة مع تشومسكي، مع فارق أن عبد اللطيف اهتم بالسياق، ولكن تشومسكي ما اهتم به، ففي عقيدة المؤلفين رأي؛ لأن تشومسكي يهتم بالمقام والسياق كثيراً لكشف البنية العميقة؛ لأنه يعتقد أن معنى الكلام ونواياه الكامنة يوضح في السياق، كما ادعى لاينز في كتابه الذي يدرس تشومسكي وآراءه.

مقالة «عناصر گشتارى و ژرف‌ساخت آيت الكرسى طبق نظريه زايشى گشتارى نوآم چامسكى» (١٤٠٤ش) خلص أحمد عارفي ونادر بهمرام في (مجلة الأدب القرآني) إلى أن (التحويل الزيادي) باستخدام حروف النفي هو التحويل الأكثر استخداماً في آية الكرسي، وذلك بهدف نفي الاعتقاد الباطل لليهود، وإثبات قدرة الله المطلقة وعدم لحوق التعب به نتيجة إدارته لشؤون الكون.

مقالة «بنية الجملة بين الجرجاني وتشومسكي في ضوء نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية» (د.ت) لشتوح خضرة. تناول الباحث نظرية الجرجاني وتشومسكي، وادعى أن لهما آراء مشتركة وأن الأساس فيهما النحو والتراكيب النحوية.

رغم كثرة الدراسات حول خطب نهج البلاغة والنظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي، ما رأينا دراسة حتّى الآن درست خطبة الطاووس وفق نظرية تشومسكي. فهذه المقالة أول مقالة تدرس خطبة الطاووس وفق نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية.

النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي

لقد طرح العلماء نظريات مختلفة حول علم اللغة وعلم اللسان من بداية ظهورهما حتى الآن كالبنيوية وغير ذلك. ولكل منهم آراء خاصة مهمة حول اللغة واللسان، حيث لكل منهم أهمية

خاصة في ذكر جوانب منهما. ويعارض كل واحد منهم بنوع مع نظريات العلماء الآخرين أو يوافقون معها، فيكمل نظرياتهم مع تطوير الآراء وتحسين بعض الجوانب، فينتقدونها ويذكرون عيوبها أو يُحَسِّنونَها. تكون نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية واحدة من هذه النظريات التي تتأثر من نظريات ما قبلها تسعى إلى نقد بعض النظريات وذكر عيوبها. فظهرت نظرية تشومسكي كردة فعل على السلوكيين والوصفيين والبنيويين؛ لأن الوصفيين يعتقدون أن اللغة تكون مجرد تراكيب شكلية تجرّد اللفظ عن المعنى والعقل والفكر، ويعتقد السلوكيون أن اللغة انعكاس للسلوك البشري، فيجردونها عن الفكر والعقل، كما يهتم البنيويون إلى البنية السطحية اهتماما كثيرا دون البنية العميقة، فنقد تشومسكي الوصفيين والسلوكيين والبنيويين، ويعتقد أن اللغة ذات أساليب شكلية تتصل الألفاظ بالمعاني والأفكار والعقل دون أي تجريد، وأن اللغة ظاهرة عقلية ترتبط بالمعرفة والتفكير، كما يهتم كثيرا بالبنية العميقة؛ لأنه يعتقد أن البنية السطحية وسيلة لإبراز البنية العميقة التي تكون أهم من البنية السطحية. فيهتم بالأداء اللغوي الفعلي والكفاءة التحتية الذاتية عند المتكلم السامع المثالي. فلا يكتفي بالجوانب السطحية الظاهرة للغة، بل وإنما يكشف الدلالات الكامنة، ويحلل اللغة وأساليبها تحليلا عقليا ومعرفيا. فأحدث تشومسكي ثورة عظيمة في اللسانيات مع نظريته التوليدية التحويلية، حيث ذكره كثير من النقاد بأنه أكبر عالم اللسانيات في العصر الراهن. فـ«من أبرز الانتقادات التي وجهها تشومسكي للبنيوية اعتمادها في التحليل ووصف الظاهرة اللغوية على مدوّنة محدودة. لا يمكن لها أن تحيط بكل الأشكال اللغوية في لسان ما، ولهذا حدد تشومسكي الخطوط الرئيسة لنظريته اللغوية منذ تقديمه لأطروحة الدكتوراه بعنوان (التركيب المنطقي للنظرية اللغوية أبرز من خلالها حقيقة التوليد اللغوي). فالإنسان لا يختلف عن الحيوان بقدرته على التفكير بالذكاء فحسب، ولكنه يفترق عنه بقدرته على اللغة وهذه الأخيرة هي أهم الجوانب الحيوية في النشاط الإنساني، وليس من المعقول أن تكون مجرد تراكيب شكلية يسعى الوصفيون إلى تجريدها من (المعنى) ومن (العقل) في هذا الوصف السطحي الذي صوّره فردينان دوسوسير.

فالقصور إذن واضح للاهتمام بالمادة اللغوية دون طرائق التوليد اللغوي؛ لأن دراسة اللغة لا ينبغي أن تتوقف عند هذا المنهج الوصفي، باعتباره (مستقلا) لا يتجاوز حدود المادة المباشرة، وإنما ينبغي أن تعيننا الدراسة اللغوية على فهم (الطبيعة) البشرية» (روبحي، ٢٠٢٠: ٧٧-٧٨)، فالبنية السطحية والبنية العميقة التي طرحهما تشومسكي في نظريته تسببان «تمايزَ النحو التحويلي عن النحو البنيوي. فالنحو يولد البنية العميقة والبنية السطحية لكل جملة بمساعدة التحويلات النحوية. هذا واضح أن التحويلات تعرض كيفية العلاقات الموجودة بين البنية العميقة والبنية السطحية وتجعلها مرتبطة بالبعض» (إنسية، ١٣٩٠: ٣٢). إن النظرية التوليدية التحويلية عبارة عن نظريتين مكملتين تدوران في محور النحو والتراكيب النحوية. ويقصد من النظرية التوليدية أنها مجموعة قواعد تعمل من خلال مفردات محدودة لتوليد جمل غير محدودة. .أما النظرية التحويلية فتُقصد أننا نطبّق في عملية النص مجموعة من قواعد الإضافة والحذف والاستبدال وتغيير الموضع والحركات الإعرابية والتنغيمات الاستفهامية على الجمل المقصودة لنصل إلى جمل غير محدودة صحيحة نحويا ودلاليا. ويعد تشومسكي مع هذه النظرية وفق اعتقاد النقاد اللسانين أكبر عالم اللسانيات الحي الذي أبدعت هذه النظرية اللسانية لنعوم تشومسكي ثورة كبيرة في اللسانيات. يرى اللسانيون في العصر الراهن أن آراءهم انعكاس لنظريات تشومسكي، ويرون أنهم يتبعون طريقة تشومسكي في اللسانيات(منصوري، ١٣٩٢: ١١٠)؛ نقلا عن: (سمبسون، ١٩٨٥: ١٣٠)، فإنه أثّر من خلال نظريته التي أظهر عيوب النظريات الأخرى وتكملها، تأثيرا كبيرا على الآخرين إلى حد قيل حوله: «إنه يكون للأجيال المقدمة من حيث التأثير، كنيوتن، وغاليله ودكارت للجيل الحالي» (دبيرمقدم، ١٣٧٨:

١٠). يرى تشومسكي أن اللغة أفضل مرآة لانعكاس أساليب التفكر وآلياته في عقل الإنسان، فوفق عقيدته إن علم اللسان يعد أفضل مجال وأهمه لكشف إنسانية الإنسان وذهنه. إنه في إبداع هذه النظرية طرح النحو الكلي ويرى أن للغات عالمية كلها قواعد نحوية مشتركة، و«إن الإنسان منذ الطفولة تعلم اللغة وقواعد النحو والكفايات اللغوية والأداء اللغوي بصورة فطرية؛ لأن اللغة وديعة جُعِلَت في فطرة الإنسان» (تشومسكي، ١٣٨٠: ٤٠)؛ (عارفي وبهمرام، ١٤٠٤: ٥).

كما أثّر تشومسكي مع نظريته على الآخرين، فمن الطبيعي أنه تأثر أيضا من العلماء واللسانيين الأبرز، فأخذ منهم أفكارا ومسائل مختلفة، فنقدها أو تطورها وقام بتعديلها. واحد من هؤلاء العلماء هو هاريس أستاذه الذي قد أخذ تشومسكي فكرة التحويلات عن أستاذه هاريس[1]، إلا أنه توسع فيها وطوّرها، حتى قدر لنموذجه للنحو التحويلي أن يتغلب ويحظى بالاهتمام الأكبر. وملخص مبدأ التحويل عند تشومسكي أن أهل اللغة قادرون على تحويل الجملة الواحدة، إلى عدد كبير من الجمل، فإذا أخذنا جملة: (عزفت الفرقة الموسيقية لحن الرجوع الأخير)، وأجرينا عليها تحويلات انتهينا إلى جمل كثيرة كما هو مبين فيما هو آت:

– عُزِفَت الموسيقى لحن الرجوع الأخير (بالبناء للمجهول).

– عُزِفَ لحن الرجوع الأخير (بالبناء للمجهول والحذف).

– عَزَفَت الفرقةُ لحن الرجوع الأخير (بحذف كلمة الموسيقية).

– الفرقةُ الموسيقيةُ عزفت لحن الرجوع الأخير (بالتقديم والتأخير).

– الفرقة عزفت لحن الرجوع الأخير (بالتقديم والتأخير والحذف).

وقد تتحول الجملة الخبرية إلى استفهامية وتتفتح أمام الجملة الخبرية هذه أنماط الاستفهام كلها ... وذلك كما هو في جملة: (فتحت الندوة أعمالها)، فتتحول إلى الجمل الآتية:

– هل فتحت الندوة أعمالها؟ (استفهام تصديقي).

– متى افتتحت الندوة أعمالها؟ (تصوري – الزمان).

– أين افتتحت المندوة أعمالها؟ (تصوري – المكان).

– كيف افتتحت الندوة أعمالها؟ (تصوري – الهيئة).

– لماذا افتتحت الندوة أعمالها؟ (تصوري – السبب).

– من افتتح أعمال الندوة؟ (تصوري – الذات).

فالقانون التحويلي يعمل على تحويل التركيب الباطني المجرد إلى تركيب ظاهري محسوس بتحويل البنية العميقة إلى بنية سطحية. وتنقسم القواعد التحويلية عند تشومسكي إلى قسمين: القواعد الإجبارية التي لاتصح الجملة إلا بها، مثل الفعل المؤنث للفاعل المؤنث. والقواعد الاختيارية التي تصح الجملة نحويا ودلاليا بها وبغيرها، كالقواعد الجوازية في النحو، كقاعدة البناء للمجهول»(رجوبي، ٢٠١٧: ٧٤-٧٥). نرى في نظرية تشومسكي أنه استعان بالنحو والتراكيب النحو كالحذف والذكر والتقديم والتأخير وغير ذلك التي درسها علماءنا اللغوية العربية، كالجاحظ والجرجاني وابن قتيبة، فلهم اشتراكات كثيرة مع نظرية تشومسكي، وليس لنظرية تشومسكي فضل بالنسبة إليهم؛ لأنهم ذكروا هذه المسائل عند تشومسكي أسبق بقرون من عصر تشومسكي، حيث درسوا النص دراسة أسلوبية لغوية لإظهار المعاني خلف الكواليس، فإنهم أشاروا بنوع إلى البنية السطحية في العبارات الظاهرية والبنية الأخرى التي تمكن فيها المعاني. و«وفقا لهذه النظرية المكون النحوي هو الذي يقوم بتوليد جمل اللغة وتنسب إلى كل جملة تحليلان: تحليل البنية العميقة، وتحليل البنية السطحية. والبنية العميقة هي نتاج المكون الأساسي، والمغذية لكل من المكون التحويلي، والمكون الدلالي، أما البنية السطحية فهي نتاج المكون التحويلي والمغذية للمكون الصوتي وعليه فنظام قواعد لغة ما يتكون من ثلاثة مستويات رئيسية على النحو الآتي:

١- المستوى النحوي وله مكونان هما: (المكون التوليدي، والمكون التحويلي).

1. Harris

٢- المستوى الدلالي الذي يوضح البنية العميقة ويفسرها.

٣- المستوى الصوتي وهو الذي يظهر منطوقا في البنية السطحية.

الشكل الآتي يوضح هذه المستويات:

القواعد التوليدية التحويلية

المستوى النحوي

المستوى الدلالي

المستوى الصوتي

مكون توليدي مكون تحويلي

فالمستوى الصوتي والدلالي مستويان تفسيريان إذ يقتصر عملهما على تحديد تفسير صوتي، ودلالي للبنى المجددة من قبل المستوى النحوي، وهذا يوضح مركزية المستوى النحوي بالنسبة للقواعد، فالنحو عند تشومسكي هو القلب لهذا النظام، وهو المستوى الوحيد الذي يعكس المظهر الإبداعي للغة» (المصدر نفسه: ٧٧). فطرح في نظريته التحويلية البنيةَ السطحية[1]، والبنية العميقة[2]، ويقصد من البنية الفوقية أو السطحية شكل الجمل والعبارات الظاهري أو العبارات المنطوقة لدى الإنسان في استعمالها في عملية التواصل، وأما البنية التحتية والعميقة فهي الدلالات ونوايا ومقاصد المتكلم التي تظهر من خلال الألفاظ في الدراسات الأسلوبية اللغوية والصوتية. و«من أهم ميزات البنية العميقة والتحتية إنها موحدة ومشتركة بين جميع اللغات، كما قال تشومسكي: إن البنية العميقة التي تحدد المعنى... مشتركة بين كل اللغات، وذلك؛ لأنها ليست سوى انعكاس لأشكال الفكر» (درقاوي، ٢٠١٤: ٩-١٠)، فجعل تشومسكي البنية الفوقية فرعية في خدمة كشف البنية التحتيتة التي تكون هي الأصل(المصدر نفسه: ٤٠)، كما طرح فيهما مسألة الأصل والفرع، ويرى أن المفرد أصل والجمع فرع له، مثلما نرى في اللغة العربية أن الأصل هو الجملة الفعلية، والجملة الاسمية فرع لها عدلت عنها لإظهار دلالة خاصة متميزة عن دلالة الجملة الفعلية، كما يرى أن النكرة أصل والمعرفة فرع لها. فتعد نظريته الأساسية والثورية في اللسانيات، منهجا نظريا وتفسريا ترتكز على الاستنتاج الاستنباطي وعلم النفس المعرفي والنزعة الذهنية[3] أو العقلية[4]. ويرى تشومسكي أن اللغة عملية إبداعية حيوية تفسر الآليات التي تكمن في الذهن، وتقدر أن تولّد جملا غير محدّدة وغير متناهية (ميشال، ١٩٨٦م: ٥١). فيهتم تشومسكي بالخلق اللغوي اللامتناهي للمتكلم وينطلق من حدسيات المتكلّم ويبحث عما يشترك في اللغات العالمية كلها، ويحاول أن يجيب عن السؤال الآتي: كيف يتم إنتاج اللغة وإبراز المعنى؟ (المصدر نفسه: ١٠٢). فـ«يرى (تشومسكي) أن نظام القواعد التحويلية ينقسم إلى ثلاثة مكونات رئيسة:

أ. المكونات النحوية وهي التي تُعنى بتحديد مجموعة لا متناهية من العناصر الصوفية المجردة، تتضمن كلّ منها المعلومات ذات الصلة بتأويل الجملة، وبعبارة أخرى فإن المكون النحوي هو الذي يهيئ المعلومات التي تخص عناصر التركيب، وعلاقاتها فيما بينها ضمن الجملة.

ب. المكون الفونولوجي: وهذا المكون يقوم بتحديد الصفة الصوتية لجملة مولدة بواسطة القوانين النحوية، وبمعنى آخر فإنّه يعمل على الوصل بين تركيب ولده المكون النحوي بإشارة لها تمثيل، أو صورة صوتية.

ج. المكون الدلالي: وهو الذي يحدد التأويل الدلالي لجملة معينة، وبمعنى آخر فهو يصل تركيبا ولّده المكون النحوي بإشارة لها تمثيل أو صورة صوتية» (بستنجي، ٢٠١٩م: ١٨-١٩).

نستنتج أن نظرية تشومسكي بالنسبة إلى نظريات اللسانيين الغربيين أكمل منها، حيث تحوي نظرية تشومسكي دراسة نحوية وصوتية تستعين بالبنية والسياق، كما أن البنيوية تتجه إلى البنية السطحية بغض النظر عن البنية العميقة والدراسة الصوتية.

1. surface structure
2. Deep structure
3. Mentalisme
4. Rationalisme

نهج البلاغة وخطبة الطاؤوس للإمام علي (ع)

إن الإمام علي (ع) عالم عبقري كتب نهج البلاغة الذي يعد عند العلماء أخا القرآن. كان الإمام «عالما أديبا و شاعرا مفلقا، فصيح النظم، ضخم الألفاظ، قادرا على القريض، متصرفا في فنونه، إن قصد الرقّة في النسيب أتى بالعجب العجاب، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لايشقّ فيه غباره، وإن قصّد في المراثي جاء سابقا والشعراء منقطعة أنفاسها على أثره» (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ١/ ٢١)، فهو جعل تناسبا وتلاؤما وتناسقا بين البنية العميقة أو المنوايا والبنية السطحية أوالألفاظ الموحية المثيرة في نهج البلاغة الذي جمعه شريف الرضي في العصر العباسي، وهو يشمل خطبا ورسائل وكلمات قصارة تحوي مضامين عليا أخلاقيّة وتربويّة يشحنها الإمام من المضامين القرآنيّة مراعيّا التناسب بين الألفاظ والمعاني حيث جعل فيها الألفاظ صورا ناطقة للمعاني، وهو «كتاب جامع للمعارف الإلهية والأسرار النبويّة والأحكام الإسلاميّة والقواعد السياسيّة، فمن نظر في نهج البلاغة وتعمق في خطبه ورسائله يرى نفسه مع خطيب وأمير إلهي يتكلم في التوحيد ويبحث عن أسرار الكائنات ويكشف غوامض المسائل ويشرح مكنون العلم» (البيهقي، ١٣٦٥: ١/ ٣-٤). فنهج البلاغة كتاب عبّر عنها الإمام فيها كلامها على أساس النحو والتراكيب النحويّة، فـ«يجمع فيه اتحاد الألفاظ والمعاني. وهذا الكتاب هو مظهر الفصاحة والبلاغة يدور على مدار النظم والاعتدال» (البحراني، ١٣٧٩: ١/ ٨ و ١٩-٢٣).حيث قيل حول كلامه: «دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة» (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ١/ ١٦). خطبة الطاؤوس خطبة قالها الإمام حول عجائب خلقة الطاؤوس وبدائعها وفق التراكيب النحويّة جمع فيها الإمام جمال الألفاظ وعمق المعاني، فيأتي الإمام بألفاظ تتناسق مع هذه المعاني الّتي تُصور خلقة الطاووس وجماله، فنرى أنه في تصوير هذه المعاني عمل ببراعة ونجاح، حيث إذا قرأنا هذه الخطبة فنحسّ هذا الجمال من خلال القراءة في الألفاظ والتراكيب التي وظفها ببراعة لتحرّك القلوب.

تحليل خطبة الطاؤوس وفق النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي

قلنا في ما سبق أن هذه الخطبة كشأن بقيّة خطب الإمام ممتلئة بالصور النحويّة وعناصر التحويل الّتي تتلائم البنية السطحية وألفاظها مع البنية العميقة ومعانيها معا، حيث جعل كلامه «دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين» (ابن أبي الحديد، ٢٠٠٧: ١/ ١٦). من حيث خلق نظم لغوي فريد أَحدَثَ انزياحات لغوية متعددة «تخرق العادة، لتجعل الأدب أدبا يضفي جمالية النص، بعيدة عن كثرة الاستعمال على سبيل العادة التي نزلت الكلام إلى حد الابتذال» (أحمد بدوي، د.ت: ٣٠٨)، ففقدت جماليته الأدبية وتأثيره على عواطف المتلقي. فتناسب استخدام الانزياحات في عناصر التحويل مع مقصود الخطبة وبنيتها العميقة التي يقصد منها الإمام «التنبيه على عجائب صنع الله لغاية الالتفات إليه والتفكر في ملكوته» (بحراني، ١٣٧٩: ٣/ ٣٠٨).

الحذف

إن الحذف أحد عناصر التحويل الذي ذكره تشومسكي في نظريته واهتم به. ويشمل عنصر تحويل الحذف، حذف الفاعل وتحويل الفعل المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول، وحذف المبتدأ أو الخبر أو المفعول به وغير ذلك لغرض يكمن في البنية العميقة.

حذف الفاعل

أحد عناصر التحويل الذي استخدمه الإمام كأبرز وأكثر نوع الحذف هو حذف الفاعل واستخدام الفعل أو شبه الفعل بصورة المبني للمجهول، حيث هذا النوع من تحويل الحذف أكثر شيوعا ورواجا في هذه الخطبة، فاستخدمه ١٣ مرة في البنية السطحية من

خلال استخدام التشبيه كأبرز صورة بيانية في هذه الخطبة متناسبا مع البنية العميقة وغرض الإمام. فمن العبارات التي نرى فيها شبه الفعل أو الفعل المبني للمجهول مع حذف الفاعل:

«فَمِنْهَا **مَغْمُوسٌ** فِي قَالِبِ لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا **غُمِسَ** فِيهِ وَمِنْهَا **مَغْمُوسٌ** فِي لَوْنِ صِبْغٍ **قَدْ طُوِّقَ** بِخِلَافِ مَا **صُبِغَ** بِهِ» (الإمام علي، ٢٠١٠: ٣١٢). نرى في هذه العبارة أن الإمام وظف ٥ مرات الفعلَ المبني للمجهول وشبه الفعل (اسم المفعول) حول جمال خلقة الطاووس وأنواع أخرى من الطيور في اللون، حيث يكون بعض الطيور ذات ألوان أخرى مختلفة عن الطيور الأخرى. فما غمس وخلط مع لون آخر، ولكن غمست ألوان بعض الطيور وفق حكمة الله و متناسبا مع جمال نوع الطيور، وخلطت مع ألوان أخرى، حتى يتجلى جماله أكثر بتنوع الألوان، كالطاووس الذي خلقه الله ذا ألوان متنوعة مختلفة متناسبة معا، حتى يزداد جماله. فاستخدم الإمام (مغموس) مرتين بصورة شبه الفعل من نوع اسم المفعول الذي يكون نوعا من المبني للمجهول، مع حذف فاعل (غمس) في البنية السطحية؛ لأن فاعله معلوم وواضح لا حاجة إلى ذكره. ومن جهة أخرى إن شبه الفعل نفسه هو المهم، فهو محور الكلام في البنية العميقة. ثم استخدم فعل (غمس) أيضا بصورة مبنية للمجهول؛ لأن فاعله واضح. ويكون محور الكلام هو عدم الغموس في اللون في البنية العميقة. ثم استخدم أيضا فعل (طوق) و(صبغ) بصورة مبنية للمجهول؛ لأن جمالية حذف الفاعل هنا لتركيز انتباه المتلقي للحدث دون المحدث، فيكون المحور في الكلام هو وقوع الفعلين نفسهما في البنية العميقة في إظهار جمال الطاووس وبديع خلقه وإظهار عظمة الله من خلال خلقة طير جميل كالطاووس، حيث حيّر العقول وسخر القلوب لينبّه «على عجائب صنع الله لغاية الالتفات إليه والتفكر في ملكوته» (بحراني، ١٣٧٩: ٣/ ٣٠٨)، كما نرى أن التقديم في العبارة من التقديمات التي يجوز فيها التقديم لفائدة الاهتمام والتركيز على الحدث، كما يجوز فيها التأخير وفق نظرية تشومسكي التي بين أن التقديمات ذات فوائد معنوية إذا كانت جوازية غير وجوبية. نرى جمالية هذا النموذج من الإمام في استخدام عنصر الحذف في الموضع اللائق المناسب متناسبا مع غرضه من جهة، وفي التناسب بين الألفاظ ومعانيها كاستخدام فعلي «غمس وصبغ» للألوان، وفي النظم الفريد وتقديم بعض الألفاظ وتأخير بعضها الآخر كتقديم فعل «صُبِغَ» على معموله «به» وفق الأصل، وفي الإيقاع والتناسب بين أصوات الحروف ومعانيها، وفي إيجاد الوحدة بين هذه الألفاظ الكثيرة والترابط بينها بوسيلة أدوات الربط كأداة «الواو» لإيجاد الانسجام؛ لأن الجمالية هي الوحدة مع الكثرة والاعتدال والترابط والتناسب والإيقاع. كما يشير الإمام من خلال الاعتدال في الحذف في هذا النموذج، إلى اعتدال في خلقة الطاووس التي يكون هذا الاعتدال في خلقته، سبب جماله، علاوة على أن التناسب بين أعضائه سبب آخر لجماله. فـ«الإيقاع يمتد من المطلع بجوه المصبوغ بالألوان المتحدة أو المختلفة، والتناسق واضحٌ بين المشاهد لوناً وحركةً وإيقاعاً. ويلاحظ أن بناء ثلاثة أفعال (غُمِسَ فِيهِ، قَدْ طوِّقَ، مَا صُبِغَ) للمجهول، يتناسق مع جو النص الذي تحدث عن جمال الطاووس؛ لأن المهم هو وقوع هذه الأفعال الثلاثة التي يؤدّي وقوعها إلى جمال الطاووس، كما أن إيقاع (مَغْمُوسٌ، غُمِسَ فِيهِ، صِبغٍ، مَا صُبِغَ) وما فيه من وقع شديد على«الصاد» وسعة وبسطة على «السين» يشير إلى أهمية الموضوع وينبّه المخاطبين للنظر والاعتبار من عجائب هذه الخلائق المتلونة الجميلة» (نصيري، ١٣٩٤: ٥٣).

«وَمَا **أُنْبِتَ** عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ، فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ جَنِيٌّ **جُنِيَ** مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ **نُطِّقَتْ** بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ» (الإمام علي، ٢٠١٠: ٣١٢). نرى في هذه العبارة

أيضا أن الإمام استخدم في البنية السطحية ٣ مرات الأفعال (أنبت، جني، نطق) بصورة مبنية للمجهول؛ لأن كلام الإمام يدور حول وقوع فعل الإنبات والجني والنطق في الماضي دون الاهتمام بفاعل هذه الأفعال الثلاثة. ويكون جمالية الحذف في هذا الموضع في التناسب بين الحذف وغرضه، والحذف في موضعه اللائق وفي التناسب بين الإيقاع وأصوات الحروف ومعانيها. فـ«بتأملٍ في مقول القول أي في «جَنًى جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ»، نجد تناسقاً شديداً بين الإيقاع والمعنى. نحسّ تأكيد المعنى من الوقع الشديد للحروف المجهورة كـ«الجيم، النون، الياء، الميم، الزاء، الراء، اللام، الباء، العين». وهذه الحروف استخدمت في هذه الجملة القصيرة خمس عشرة مرة، ومن ثم تؤدي هذه الحروف المدلول للحس والوجدان لدلالة هذه الحروف على المعاني الحسية والوجدانية والمعرفية كالمشي والنظر والتعرّف والتصفح والتأمل والصوت والقهقهة لإظهار جمال الطاووس الذي يُدرَكُ بوسيلة الحس. وبعد ذلك نجد استخدام حروف كـ: (الشين، السين، الصاد)، توحي بالصفير والتفشّي واستخدام ألفاظ مفخَّمة كـ:(مَوْشِيّ، حُلِيّ، نُطِّقَتْ، اللُّجَيْنِ، الْمُكَلَّلِ) فيحدث الإيقاع بالإفادة من جرس الألفاظ وتناغم العبارات لإحداث التوافق الصوتي بين مجموعة من الحركات والسكنات لتأدية وظيفة سمعية والتأثير في المستمع. وفي عبارة «يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ وَيتَصَفَّحُ ذ نبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لجَمَالِ سِرْبَالِهِ وَأَصَابِيغِ وِشَاحِه» جرس حرف «الشين» بتكراره مع ما له من التفشّي وتكرار مشي مرة في صورة الفعل وأخرى بشكل المصدر يوحي إلى جو من المشي والتفرج. وحرف «الصاد» بدلالته على المعالجة الشديدة يشيع جواً من التصفُّح والتأمُّل، وأيضا التشديد في «يتصفّح» قد يوحي بهيئة النظر وشدَّد على حالة التعرّف. وتكرار حرف القاف في لفظ «فَيُقَهْقِه» وتقسيمه إلى خمسة مقاطع يوحي بجو من إظهار الصوت والقهقهة. و«فَيُقَهْقِه» يكاد يخرق صماخ الأذن في ثقله وعنف جرسه حتى يصل إلى الأذن في هيئة قهقهة شديدة، وهذا كلُّه يدلّ على التلائم والتناسق بين الجرس والإيقاع وموضوع النص ومعناه» (نصيري، ١٣٩٤: ٥٤). علاوة على هذا استخدم الإمام من الحروف الدالة على الليونة للإشارة إلى نعومة حلقة الطاووس وبدائعه. وتتلائم هذه التحليلات مع النحو التوليدي التحويلي من خلال كشف الدلالات والمعاني واستخدام عناصر التحويل في موضعها اللائق لكشف الدلالات؛ لأن النظرية التوليدية التحويلية نظرية دلالية لإظهار المعاني من خلال دراسة الألفاظ ومعانيها ودراسة الحروف والأصوات ومعانيهما، فالمستوي الصوتي مستوى أساسي في النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي لكشف الدلالات، كما أشرنا إلى هذا الأمر الذي اعتقد به تشومسكي، في الأدب التنظيري.

«فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا **يُوصَفُ** لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ **مَا أُخْرِجَ** إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا وَلَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ **غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا** فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا **تُجْنَى** مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا وَ**يُطَافُ** عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ **الْمُصَفَّقَةِ** وَالْخُمُورِ **الْمُرَوَّقَةِ** قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا» (الإمام علي، ٢٠١٠: ٣١٢).

نشاهد أن الإمام وظف أفعال «يوصف» و«أخرج» و«غيب» و«يطاف» وشبه الأفعال «المروقة» و«المصفقة» بصورة مبنية للمجهول؛ لأن المهم هو وصف الشيء وإخراج الشيء وتغييب العروق ونفس الطواف والأعسال المصفقة والخمور المروقة دون الاهتمام بفاعلها، فالمهم هو العروق التي غيّبت، لا فاعلها، وتكون الأعسال المصفقة هي المهمة، لا الشخص المصفق، وتكون الخمور المروقة هي المهمة، لا الشخص المروق؛ لأن الكلام حول الجنة ونعمها كالأعسال والخمور الجنتية والعروق المغيبة في الأشجار في كثبان المسك

على سواحل الأنهار، فالتركيز والانتباه الى الدث دون الفاعل. فنرى توظيف عنصر تحويل الحذف في هذا النموذج ست مرات في موضعه اللائق المناسب وفق نظرية تشومسكي. كما يكون جرس وإيقاع الألفاظ والحروف متناسبة مع المعاني المرادة التي حول نعم الجنة. كما تكرار حرف «الشين» يدل على تفشي نعم الله في الجنة. فـ«البلاغة إشعاع للنظم الخاص في كل موضع وتابعة لقصر الفواصل وطولها، كما أنها تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة» (رماني، ١٩٦٨م: ٩٧).

الترتيب النحوي

تكون مسألة الترتيب النحوي أو التقديم والتأخير من المسائل المهمة في نظرية تشومسكي وعناصره التحويلية. فالترتيب وتقديم المفردات وتأخيرها مسألة «كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة» (جرجاني، ٢٠٠٤: ١٠٦). وهذا التقديم والتأخير ذو قواعد وجوبية لا فائدة دلالية في البنية العميقة، وذو قواعد جوازية يحمل فوائد دلالية كثيرة في البنية العميقة؛ كما أشار تشومسكي إلى الجوازات النحوية ووجوبياتها في عناصر التحويل (رجوبي، ٢٠١٧: ٧٤-٧٥)، فتكون للتقديم دلالةٌ بديعةٌ، إذا كان يقدّم جوازيّا من حيث النحو. ويكون أبرز غرض التقديم وأهمه في كل الأساليب والتراكيب النحويّة للاختصاص والقصر (سامرايي، ٢٠٠٠: ١: ١٥٤)؛ (سامرايي، ٢٠٠٠: ٢/ ٨٧)، ويدل بعض التقديمات الأخرى على الاهتمام بالمتقدم أو إزالة ريب المخاطب وما إلى ذلك حسب المقام والسياق. وظف الإمام في كلامه ألفاظا متلائمة مع نواياه حسب التقديم، حيث يقدم بعض الألفاظ ويؤخر بعضها حسب المقاصد التي يريدها في القواعد الجوازية للنحو، فجعل بين هذه الألفاظ ونواياه تناسبا عميقا، حيث نرى في كلامه أنه لا يقدم لفظا على لفظ آخر عشوائيا، بل يكون هذا التقديم لفائدة بديعة متناسبة مع غرضه. فمن الترتيبات الّتي وظفها الإمام (ع) في هذه الخطبة: «فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمَسَلِّمَةً لَهُ وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الْأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الْأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ وَمُرْفَرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ وَالْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ» (الإمام علي، ٢٠١٠: ٣١٢). نشاهد في هذا النموذج ترتيب شبه الجملة كثيراً، حيث يقدمه أو يؤخره متناسبا للأغراض ووفق السياق والمقام، كما أن تشومسكي يهتم بالمقام والسياق كثيرا لكشف البنية العميقة؛ لأنه يعتقد أن معنى الكلام ونواياه الكامنة فيه يوضح في السياق (لاينز، ١٣٧٦: ٧٨). فقدّم شبه جملة «من شواهد البينات» على «ما» للإشارة إلى الاهتمام وإلى أنه معمول لفعل «أقام»، وقدّم شبه جملة «له» على «العقول» للدلالة على الاهتمام وعلى أنه أيضا معمول لفعل «انقادت»، أي: انقادت لأجله، وأخرت شبه جمله «به» للدلالة على أنه معمول لشبه فعل «معترفة» أي: يعترف به. فمن الجدير بالذكر أن أكثر التقديمات للاهتمام؛ ولأنها معمول لعاملها. كما نرى أن التقديم في العبارة من التقديمات التي يجوز فيها التقديم لفائدة الاهتمام والتركيز على الحدث، كما يجوز فيها التأخير وفق نظرية تشومسكي النبي بين أن التقديمات ذات فوائد معنوية إذا كانت جوازية غير وجوبية. «إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَزَهُ مِنْ طَيِّهِ وَ سَمَا بِهِ مُظِلًّا عَلَى رَأْسِهِ». يكون تقديم «به» على «مظلا» في هذه الجمله أيضا للاهتمام والإشارة إلى أنه معمول لعامله «سما»، أي: يسمو به أو يسمو بوسيلته، وأخّرت «على رأسه» للإشارة إلى أنه معمول لشبه فعل «مظلّا»، أي: يظل على رأسه. وتتم هذه التقديم والتأخيرات في موضعها اللائق المناسب، حيث يسبب هذا الأمر جمالية هذا النص، علاوة على أن الإيقاع والتناسب

والتوازن والوحدة أسباب أخرى لجمالية النص. فنشاهد تناسبا وانسجاما بين إيقاع النص ومعناه.

فـ«في عبارة «وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الجَوِّ الْمُنْفَسِحِ» لفظ «مُرَفْرِفَةٍ» بمفرده رسم صورة شاخصة بجرسه الذي يلقيه في الأذن وبظله الذي يلقيه في الخيال. وتكرار الحرفين «الراء» و«الفاء» وأيضا تقسيم الكلمة إلى أربعة مقاطع يوحي بجوّ من الطيران وهيئة من الصعود والنزول للجناحين. وأيضا من صفات حرف «الراء» هو التكرير. وهذه الصفة تلائم المعنى اللفظي لكلمة «مُرَفْرِفَةٍ». وهكذا الإتيان بلفظ «أَجْنِحَتِهَا» في صيغة جمع تكسير قد أضفى بجو الطيران وبهذا الجرس والظل يتصور الخيال ذلك الطيران المنظم والمكرر وإذا تأملنا هذه العبارة نلاحظ أنَّ الإيقاع فيه شديد وسريع يلائم جو النص وموضوعه» (نصيري، ١٣٩٤: ٥٣). علاوة على هذا يدل حرف «الفاء» على الانفساح والفضاء المفتوح، فتتناسب «الفاء» مع معنى النص الذي يتحدث عن الجو والفضاء والانفساح. وظّف الإمام في هذا النموذج بعض الأفعال والجمل بتقديم الفعل على الاسم (الفاعل) بصورة جملة فعلية في الغالب لفائدة، حسب المقام، مثل عبارة: «ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَ مَوَاتٍ وَ سَاكِنٍ وَ ذِي حَرَكَاتٍ فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ» (الإمام علي، ٢٠١٠: ٣١٢)، فنشاهد أنه وظف هذه العبارة بصورة الجملة الفعلية التي يقدم فيها الفعل الماضي «ابتدع» للدلالة على قطعية حدوث الابتداع في الماضي متناسبا مع معناه الّذي قصده الإمام(ع) حول خلقة الله خلقا عجيبا من النباتات والحيوانات والسواكن كالأرض وذي الحركات كالأفلاك؛ لأن الكلام يدور حول وقوع الابتداع. ومن الجدير بالذكر أن الإمام وظف في الغالب الجمل الخبرية الفعليّة الدّالة على قطعيّة وقوع الحدث في الفعل الماضي، والحدوث والتجدد الاستمراري في المضارع. وأمّا في بعض الأحيان فوظف الجملة الاسميّة للدلالة على الثبوت والدوام، وللدلالة على أن المهم هو الاسم الذي بدأ الكلام معه كمبتدأ، فيدور الكلام حوله، كجملة «مِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطاووس الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ وَ نَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ» (المصدر السابق: ٣١٢)، الّتي بعد توظيف الجملة الخبرية من نوع الجملة الاسميّة استخدم الخبر «من أعجبها» بالتقديم على المبتدأ «الطاووس» رغم أن المبتدأ معرفة، فتقديم الخبر في هذا النموذج جوازي واختياري، وهذا التقديم يتم لغرض الاهتمام؛ لأن المهمَ إخبارٌ عن واحد من أعجب المخلوقات، كما يكون غرض الإمام ذكر عجائب الطاووس، فالأهم عجائب الطاووس، فليس الأهم الطاووس نفسَه. ثم وظف النعت «الذي» للطاووس الذي تكون جملةُ الصلة جملةً خبريةً فعليّةً ماضويّةً تدل على قطعية وقوع الحدث في وصف إقامة الطاووس في أحكم تعديل وتنضيد ألوان الطاووس في أحسن تنضيد. فبما أن الإمام وظف هذه الخطبة في الإخبار عن بدائع خلقة الطاووس، استخدم الأفعال الماضويّة والجمل الخبرية للتناسب مع الإخبار عن خلقة الطاووس كثيرا لقطعيّة وقوع الحدث (جرجاني، ٢٠٠٤: ١٧٤)، واستخدم في بعض الأحيان الأفعال المضارعية للتجدد الاستمراري المدعو إلى التغيّر والتطور (المصدر نفسه: ١٧٤)، كـ«يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ»؛ لأن المشي شيء يتكرر ويتغير، فليس شيئا ثابتا. فوظف في بعض الأحيان الجمل الاسمية للدوام والثبوت (المصدر السابق: ١٧٤) كـ«فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ أَلْوَانٍ» لإظهار دوام واستقرار ألوان الطاووس دون أي تغيير و تكرار، و«مِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ وَ نَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ». وأما في الغالب فوظف الجملة الفعلية.

ورغم أن الإمام استخدم في الغالب الجمل الخبرية؛ لأن الخطبة في مقام الإخبار عن بدائع وعجائب خلقة الطاووس، إنه في بعض الأحيان متناسبا مع الأغراض وَظّفَ الجمل الإنشائيّة أيضا لفوائدَ كتعظيم الله، مثل عبارة: «...فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً وَ مُؤَلَّفاً مُلَوَّناً وَ أَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ وَ قَعَدَ

بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ وَ سُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَ الْهَمَجَةِ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَ الْفِيَلَةِ وَ وَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ وَ الْفَنَاءَ غَايَتَهُ» (الإمام علي، ٢٠١٠: ٣١٢) للإشارة إلى تسبيح الله جلّ جلاله بأنه خلق مخلوقا عجيبا مسميا بالطاووس الذي يكون في غاية الجمال مع ألوانه المتنوعة وغير ذلك، حيث بهر العقول عن وصف هذا الخلق وأعجز اللسان عن تلخيص صفة هذا الخلق، فلذا كرر لفظ «سبحان» (الجمل الإنشائية) للتأكيد في تعظيم وتسبيح الله.

الزيادة (زيادة الحروف على الجمل)

إن الزيادة واحدة من عناصر التحويل الرئيسة عند تشومسكي، ويتم هذا العنصر بزيادة الحروف على الجمل كحروف العطف أو حروف النفي وغير ذلك، وإن الإمام أيضا وَظَّفَ حروف العطف في هذه الخطبة كثيرا لإيجاد التناسب والارتباط بين الجمل ليشير بنوع إلى جمال خلق الطاووس وابتداعه. وتكون حروف العطف، أكثرها رواجا واستخداما في خطبة الطاووس بين أنواع الحروف الكثيرة، فوطف الإمام حروف العطف ببراعة، ويكون أكثر حروف العطف في توظيف الإمام هو واو العطف الذي يُعَدّ أهم وأبرز حروف العطف. ومعلوم أن فائدة العطف أن يشرك الثاني في الإعراب الأوّل تبعا للمعنى والدلالة، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقط أشركه في حكم ذلك الإعراب (جرجاني، ٢٠٠٤: ٢٢٢). واعتنى الإمام بهذه المسألة كثيرا في خطبة الطاووس، حيث جاء بجمل كثيرة فيها حدث الوصل بالواو في المفرد أو في الجمل في الغالب وفي بعض الأحيان حدث الفصل متناسبا مع الأغراض والمعاني. فقد وظفها بليغا غاية البلاغة، كنموذج: «ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمَسَلِّمَةً لَهُ وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الْأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الْأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ وَمُرْفَرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ وَالْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ» (الإمام علي، ٢٠١٠م: ٣١٢). استخدم الإمام في هذه الخطبة، ألفاظا وأفعالا وفق عنصر الزيادة كعنصر التحويل، حيث استخدم العطف كثيراً في هذه العبارة، فعطف الفعل الثاني «أقام» بالفاء للدلالة على الترتيب مع الفاصلة القصيرة المستفادة من «الفاء» على الفعل الأوّل للدلالة على أن الله بعد الخلقة وفاصلة قصيرة أقام من شواهد بينات، فالعبارة الأولى سبب للعبارة الثانية، لأن «الفاء» فاء العاطفة والسبب التي أوردها الإمام علي الفعل الماضي «أقام». فتتناسب هذه الجملة الفعليّة للإمام مع الأغراض الّتي يخبر عن الخلقة في الماضي المشار إلى قطعيّة وقوع الابتداع وإقامة شواهد البينات. واستخدم «واو» العاطفة بين ألفاظ «حيوان، موات، ساكن، ذي حركات» لإيجاد التناسب والتناسق والتلاؤم والانسجام بينها لكونها تكون من جنس ونوع واحد، والجمع بينها في ابتداع خلقها. وخلق الإمام جمالية خاصة في هذه الجملة بهذه الطريقة. ونرى في هذه العبارة أسجاعا متنوعة للتأثير في الذهن في ألفاظ «انقادت ونعقت» و«معترفة ومسلمة ومرفرفة» و«صنعته وقدرته» و«منفسح ومنفرج». فلهذه الأسجاع صوتيا تأثيرٌ شديدٌ في أن تسحر القلوبَ وتحرّكها وتزيّن صياغةَ النص وتضفي جماليّته. كما نرى زيادة «ما» على «انقادت» للدلالة على عدم انقياد العقول بسبب التحير حول عظمة قدرته.

«يَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ؛ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ خُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ» (المصدر السابق: ٣١٢).

نرى في هذا النموذج فصلا بلاغيّا في «لأن قوائمه» لوقوعها جواب سؤال يفهم من الجملة الأولى، فتفهم عنها وهذا الموضع سماها البلاغيون «شبه كمال الاتصال» (هاشمي، ١٩٩٩: ١٩٣). نرى زيادة «أن» على الجملة الإسمية للتأكيد على

مضمون الخبر وعلى أن الجملة سبب للجملة ما قبلها. وزيادة قد على «نجمت» للدلالة على تأكيد نجمة الصيصة.

«إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ وَ سَمَا بِهِ مُظِلًّا عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ وَ يَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ» (الإمام علي، ٢٠١٠: ٣١٣).

نلاحظ في هذا النموذج أيضا فصلا بلاغيّا من نوع كمال الإتصال في جملة «كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ»؛ لأنها بمنزلة التوكيد أو النعت للجملة السابقة. و«الإيقاع هنا أحيانا يرقّ ويلين، وأحيانا يشتدّ ويعنف، على سبيل المثال لا يوجد أيّ حرف مشدد أو الصيغة المبالغة في عبارة «يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِه» بل جرس الحروف والكلمات هنا يدلّ على الحركة المفتخرة تناسب المعاني المرسومة في هذا المكان المختال. ولكن عندما يتطرّق الإمام (ع) إلى مواضيع الجد يشتد إيقاع اللفظ ويقوى للإيحاء بالمعنى، ويستخدم الصيغة المبالغة التي يكون النبر فيها على الحروف المشدّدة مما يُعطيها جرساً متسقاً يؤثر أكثر التأثير، نحو: «وَيؤُزُّ بِمَلَاقِحِهِ أَزَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ فِي الضِّرَابِ» (نصيري، ١٣٩٤: ٥٣). كما نرى زيادة «كأن» على الجملة الاسمية للدلالة على التشبيه لإضفاء لجمال الطاووس من خلال ألوانه المتنوعة التي تكون الوحدة والتلاؤم بينها، سبب جماله. ونلاحظ أيضا فيها وصلا بلاغيّا لوجود الجامع بينهما في «نَشَرَه مِنْ طَيِّهِ وَسَمَا بِهِ» و«يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ» للإشارة إلى المشاركة بين الجمل المعطوفة من حيث الخبريّة التي فعلها مضارع. وفي نموذج «مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمَسَلِّمَةً لَهُ وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَمَا ذَرَأَ ...» (الإمام علي، ٢٠١٠: ٣١٣). نرى وصلا بلاغيا؛ لأن اسم الموصول «ما» الثاني في موضع الجر بوسيلة العطف على الضمير المضاف إليه في دلائله: أي «نعقت في أسماعنا دلائله على وحدانيته ودلائل ما خلق» (بحراني، ١٣٧٩: ٣/ ٣١٠). فنشاهد جمالية هذه العبارة في النظم بين الألفاظ والتناسب بينها وفي هذا الإيقاع الجميل المتناسب مع المعاني.

الإحلال (الاستبدال)

إن إحلال الضمير محل الاسم وظفه الإمام كثيرا في هذه الخطبة، فيتم هذا في مواضع يتحدث الإمام عن شيء ذكر لفظه، ثم لعدم تكرار ذلك اللفظ استخدم الإمام مرة ثانية ضميرا متناسبا مع ذلك اللفظ من حيث الإفراد والجنس، كعبارة «مِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطاووس الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ وَ نَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ» (الإمام علي، ٢٠١٠: ٣١٣). فتحدّثَ الإمام في هذه العبارة عن الطاووس، ثم أحل الضمير في «أقامة» محل لفظ الطاووس؛ لأنه رجع إلى الطاووس، فيكون مرجع الضمير، ثم استخدم ضمير «هاء» في «نضده» في محل لفظ الطاووس للاجتناب عن تكرار الاسم دون الفائدة، وإيجاد الانسجام والتنوع اللغوي الذي سبب استمرار القراءة والدقة في تأويل العبارة.

«وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ وَ فِلَذَ الزَّبَرْجَدِ، فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ» (المصدر السابق: ٣١٣).

نشاهد في هذه العبارة أن الإمام تحدث عن الطاووس أيضا باستخدام التشبيه كأبرز أسلوب بياني في الخطبة التي يساعد التشبيه الإمامَ ليصل المتلقي إلى غرضه الرئيس؛ لأن التشبيه يتم لغرض الإيضاح، إذا كان أمر ما ليس واضحا للمخاطبين، فقام الكاتب باستخدام التشبيه ليوضح قصده من خلال تشبيه أمر بأمر ما، للمتلقيين، كما وضح الإمام لنا خصائص الطاووس وعجائبه في الخطبة من خلال التشبيه لندركها ببساطة. فنرى في الخطبة أن الإمام أحل ضمير «هاء» في «شبهته» و«ضاهيته» و«شاكلته» محل لفظ الطاووس للاجتناب عن تكرار الاسم لئلا يمل القارئ عن هذا التكرار اللافائدة، ولإيجاد الانسجام وخلق الجمال للنص. فيكثر استخدام التشبيه متلائما

مع الأغراض مستخدما الفعل الذي يدل على التشبيه في «إن شبهته» و«إن ضاهيته» وأداة التشبيه في «فهو كموشي الحلل أو كمونق...» و«فهو كفصوص ذات ألوان» والتشبيه البليغ في «يمشي مشي المرح المختال» لإظهار جمالية الطاووس.

ويكثر التشبيه في عبارة: «إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ وَسَمَا بِهِ مُظِلًّا عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ وَيَؤُرُّ بِمُلَاقَحَةٍ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ لِلضِّرَابِ أُحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايَنَةٍ لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ إِسْنَادِهِ وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعَمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ فَتَقِفُ فِي ضَفَّيْ جُفُونِهِ» (المصدر السابق: ٣١٣). مستخدما التشبيه البليغ في «يؤرّ بملاحقة أرّ الفحول» الذي أحل ضمير «هو» المستتر في فعل «يؤر» محل الطاووس، كما وظف الإمام هذه الجملة كناية عن مجامعة الطاووس (بحراني، ١٣٧٩: ٣/ ٣١٠). في البنية العميقة، والتشبيه المجمل الذي تظهر أداة التشبيه ك«يفضي كإفضاء الديكة» «كمن يحيل...» و«كأنه قلع داري» و«كان كزعم من يزعم...» متلائما مع الأغراض والمقام. ويكثر الاستعارة كنوع من التشبيه والمجاز، فنرى استعارة مصرحة أصليّة في «مَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ» (الإمام علي، ٢٠١٠: ٣١٤). «لمشابهتها لها في الاستدارة والاستنارة» (بحراني، ١٣٧٩: ٣/ ٣١٠). في البنية العميقة، وأيضا في «يَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيُقْهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ» استعارة مصرحة وأيضا استعارة في «قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ» من ريشه (المصدر السابق: ٣١٠). وفي «فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا» (الإمام علي، ٢٠١٠: ٣١٧)، استعارة لطيفة لإظهار جمال خلق الطاووس بصورة المبالغة بما في الاستعارة تكمن المبالغة. أي «لو نظرت بعين بصيرتك وفكرت في معنى ما وصف لك من متاع الجنة لم تجد لشيء من بدائع ما أخرج إلى الدنيا من متاعها إلى شيء من متاع الجنّة إلا نسبة وهميّة» (بحراني، ١٣٧٩: ٣/ ٣١٣). وأيضا العسل والخمر في خطبة الطاووس في وصف الجنة استعارة لتلك الإفاضات المشتهات الملذة للنفس بحس المحاكات المتخيلة لها في صورة هذا المشروب المحسوس المشتهى» (المصدر السابق: ٣١٤). نرى في هذه العبارات أيضا أن الإمام أحل الضمير محل لفظ الطاووس للتجنب عن التكرار الممل للقارئ، ولإيجاد الانسجام. علاوة على أنه أحل الضمير محل ألفاظ أخرى في الخطبة، كعبارة في وصف الجنة: «فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا» (الإمام علي، ٢٠١٠: ٣١٧)، فنلاحظ أن الإمام استخدم ضمير «ها» في «شهواتها» و«لذاتها» و«مناظرها» بدل لفظ الدنيا؛ لأن هذه الضمائر الثلاثة ترجع إلى الدنيا؛ لأنها تشير إلى شهوات الدنيا ولذاتها ومناظرها، ولكن لم يتكرر لفظ الدنيا للتجنب عن التكرار الممل للقارئ، ولإيجاد الانسجام، فيحل الضمائر الثلاثة محل لفظها.

القواعد والحركات النحوية والإعرابية

القواعد والحركات النحوية والإعرابية ذات منزلة رئيسة في نظرية تشومسكي؛ لأنه يعتقد أن القواعد النحوية والحركات الإعرابية المتنوعة المختلفة تؤدي إلى تغيير المعاني. فإذا كان نرى فاعلا حقيقيا مؤنثا، فندرك أن هذا الفاعل هو الذي قام بإنجاز وقوع الفعل المؤنث؛ لأن الفعل المؤنث عامل لهذا الفاعل الذي أنجز عمل الفعل. «ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ» (المصدر السابق: ٣٠٨). فنشاهد أن الإمام وظف ضمير «هم» على فعل «ابتدعهم» بشكل ضمير منصوبي لندرك أن ضمير «هم» هو مفعولٌ به، فالابتداع واقع عليهم. ونرى أن الإمام في عبارة «دَارَ الْقَرَارِ وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ

مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ لَرَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالًا بِهَا **جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ** مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ» (المصدر السابق: ٣١٠)، وظّف ضميرا منصوبا، وهو «إياكم» لندرك أن هذا الضمير عطف لضمير «نا» في فعل «جعلنا»، أي: إن الله جعلنا وجعلكم ممن يسعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته. فنرى أن الحركات الإعرابية والقواعد النحوية كيف سببت تغيير معاني العبارات. نرى في عبارة: «فأقامَ من شواهد ... مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمَسَلِّمَةً لَهُ وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَ**مَا ذَرَأَ** ...» (المصدر السابق: ٣١٢). أن اسم الموصول «ما» الثاني كيف سبب تغيير المعاني وفق الحركات الإعرابية والقواعد النحوية، فإن عطفناه بالاسم الموصول «ما» الأول، فنرى أن «ما» الثاني أيضا نوع من المفعول به، أي: أقام ما انقادت له العقول وأقام ما ذرأ...، وإذا عطفناه بـ«على وحدانيته» يغير المعنى. أي: نعقت أسماعنا دلائله على وحدانيته وعلى ما ذرأ... . يشير البحراني شارح نهج البلاغة إلى هذا الأمر قائلا: «لفظ «ما» الثاني في موضع الجر بوسيلة العطف على الضمير المضاف إليه في دلائله: أي نعقت في أسماعنا دلائله على وحدانيته ودلائل ما خلق» (بحراني، ١٣٧٩: ٣/ ٣١٠)، وقول الصحيح هو قول البحراني في هذا الأمر وفق المعنى الذي يريده الإمام.

النتائج

تتجلى عناصر التحويل من نظرية تشومسكي في خطبة الطاووس من خلال الاستخدام البارع لعناصر التحويل بما فيها من ١- تحويل الحذف بحذف الفاعل كأبرز نوع الحذف في الخطبة، و٢- الزيادة بزيادة حروف العطف ولاسيما واو العطف كأبرز حروف العطف في الخطبة لإيجاد التناسق والارتباط بين أجزاء الكلام ليشير إلى أن هذا التناسق والتناسب بين أعضاء الطاووس سبب جمال خلقه وعجائبه، و٣- الترتيب بتوظف الجمل الخبرية بتقديم الفعل في الغالب في الجملة الفعلية، وبتقديم المبتدأ أو الخبر في الجملة الاسمية أحيانا في الخطبة متناسبا مع غرضه وهو الإخبار عن بدائع وعجائب خلقة الطاووس، ولكن بما أن غرض الخطبة هو تعظيم وتسبيح الله لخلق مخلوق عجيب بهر العقول كالطاووس، وظف أحيانا الجمل الإنشائية أيضا لتعظيم الله وتسبيحه إثر خلق مخلوق عجيب بهر العقول وأعجز اللسان عن وصفه. ثم إنه وظف في الغالب الأفعال الماضوية متناسبا مع تعظيم الله في خلقة الطاووس بما فيه من عجائب وبدائع بهر العقول، لتوكيد كلامه وقطعية وقوع حدث الأفعال، و٤- الحركات الإعرابية التي يكون موضع الألفاظ والضمائر سبّبَ تغييرَ المعاني.

وأبرز عناصر التحويل في هذه الخطبة وأكثرها تداولا هو تحويل الزيادة والترتيب والحذف باستخدام التشبيه لإيضاح أمر عجائب الطاووس وبدائعه كأبرز أسلوب بياني في الخطبة وأكثره رواجا ببراعة في جمل خبرية تكون الجمل في الأغلب جملة فعلية، فعمل الإمام موفقا وبارعا في استخدام الأساليب النحوية وعناصر التحويل وفق نظرية تشومسكي، بتاتا؛ وهذا طبيعي ومعقول؛ لأنه هو مؤسس النحو الذي أنشأه وتُعلّمه بتلميذه أبي الأسود الدوئلى، فتمتلئ الخطبة من الأساليب النحوية المتنوعة الجميلة وتتلائم فيها البنية السطحية والبنية العميقة معا، حيث تكون البنية السطحية صورة ناطقة للبنية العميقة وتتلائم معها. ويكون إظهار عجائب خلقة الطاووس وبدائعه وجمالاته الخلقية، ليشير في النهاية إلى تعظيم خالقه البارئ المصور، من الأغراض والمقاصد التي يتبعها الإمام في البنية التحتية.

المصادر

أحمد بدوي، أحمد، (د.ت)، *عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية*، القاهرة: المؤسسة المصرية العامّة.

ابن أبي الحديد، (٢٠٠٧م)، *شرح نهج البلاغة*، تحقيق محمد إبراهيم، بيروت، دار الكتاب العربي، ج١.

الإمام علي، (٢٠١٠م)، *نهج البلاغة*، جمعه شريف الرضي، حققه وضبط نصه الشيخ قيس بهجت العطار، بيروت: مؤسسة الرافد للمطبوعات.

البحراني، كمال الدين ميثم، (١٣٧٩ش)، *شرح نهج البلاغة*، قم: دفتر نشر الكتاب، ج١ و٣.

البستنجي، ياسر محمد، (٢٠١٩م)، قراءة في النظرية التوليدية التحويلية، *مجلة دراسات لسانية بجامعة مؤتة في الأردن*، المجلد٣، العدد٢، صص١٣-٢٨.

البيهقي، أبو محمد، (١٣٧٥ش)، *حدائق الحدائق في شرح نهج البلاغة*، تحقيق وتصحيح: الشيخ عزيز الله العطاردي، قم: اعتماد، ج١.

تشومسكى، نعوم، (١٣٨٠ش)، *دانش زبان ، ماهيت ومنشا و كاربرد آن*، ترجمة على درزى، طهران: نى.

التواتي، عبد القادر، (٢٠٢١م)، النّحو العربي ونظرية تشومسكي دراسة مقارنة، *مجلة حوليات الآداب واللغات*، المجلد٩، العدد٣، صص١٢٠-١٤٢.

الجرجاني، عبدالقاهر، (٢٠٠٤م)، *دلائل الإعجاز*، تعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي.

دبير مقدّم، محمد، (١٣٧٨ش)، *زبان‌شناسى نظرى*، طهران: سخن.

درقاوي، مختار، (٢٠١٤م)، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية؛ الأسس والمفاهيم، *مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية*، العدد ١٢، صص٣-١٢.

الرجوبي، محمد سالم، (٢٠١٧م)، النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي؛ التطورات وعناصر التحويل، *المجلة العلمية لكلية التربية لجامعة مصراتة في ليبيا*، المجلد الثاني، العدد ٨، صص٦٧-٩٢.

الرماني، علي بن عيسى، (١٩٦٨م)، *النكت في إعجاز القرآن*، مصر، دار المعارف.

روبحي، لخضر، (٢٠٢٠م)، تراث العربية ونظرية نعوم تشومسكي التوليدية التحويلية – بحث في المنهج والتطبيق –، *مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية*، المجلد٣، العدد٢، صص٧٦-٨٩.

السامرائي، فاضل صالح، (٢٠٠٠م)، *معاني النحو*، عمان: دار الفكر، ج١و٢.

طالبي، إنسية، (١٣٩٠ش)، *الوجوه النحوية المشتركة بين اللغات العربية والفارسية والإنجليزية على ضوء نظرية تشومسكي*، رسالة الماجستير تحت إشراف جلال مرامي، طهران: جامعة العلامة الطباطبائي.

عارفي، ،حمد ؛ نادر بهمرام، (١٤٠٤ش)، عناصر گشتارى و ژرف‌ساخت آيت الكرسى طبق نظريه زايشى گشتارى نوآم چامسكى، *پژوهش-هاى ادبى قرآنى*، دوره ١٢، شماره١، صص١-١٨.

لاينز، جان، (١٣٧٦ش)، *چامسكى*، ترجمة: أحمد سميعي، تهران: انتشارات علمى و فرهنگى.

منصوري، مهرزاد، (١٣٩٢ش)، بررسى مبانى نظرى دستور زايشى گشتارى بر اساس آموزه‌هاى قرآن كريم، *مجلة دو فصلنامه مطالعات تحوّل در علوم انسانى*، السنة الاوّلى، العدد ١.

ميشال، زكريا، (١٩٨٦م)، *الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية*، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

نصيري، روح الله، (١٣٩٤ش)، الإيقاع الصوتي في نهج البلاغة؛ خطبتي الشقشقية وخلقة الطاووس أنموذجا، *مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها*، العدد ٣٥، صص٤١-٦٠.

الهاشمي، أحمد، (١٩٩٩م)، *جواهر البلاغة*، بيروت: المكتبة العصريّة.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

سال هشتم، شماره دوم، پیاپی ۱۶، بهار و تابستان ۱۴۰۴ (۳۱-۴۸)

DOI: 10.30473/anb.2026.74274.1445

«مقاله پژوهشی»

روساخت و ژرف‌ساخت خطبه طاووس نهج‌البلاغه طبق نظریه زایشی گشتاری نوآم چامسکی

نادر بهمرام[۱]، احمد عارفی[۲]*، شهنور محمودزهی[۳]

۱. کارشناس ارشد زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شهید مدنی آذربایجان، تبریز، ایران.

۲. دکترای زبان و ادبیات عربی، دانشگاه علامه طباطبایی، تهران، ایران.

۳. فارغ التحصیل کارشناسی ارشد زبان و ادبیات عربی دانشگاه سیستان و بلوچستان، زاهدان، ایران.

نویسنده مسئول:
احمد عارفی
رایانامه: ahmad.arefi@yahoo.com

تاریخ دریافت: ۱۴۰۴/۰۱/۲۵
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۵/۰۳/۰۵

چکیده

نهج‌البلاغه شامل خطبه‌ها، نامه‌ها و کلمات کوتاهی است که امام علی (ع) آن‌ها را سرشار از ظرافت‌های ادبی، تربیتی و اخلاقی نموده است. خطبه طاووس سرشار از گشتارهایی مانند حذف، افزایشی، جایگزینی، ترتیبی و حرکت‌های اعرابی طبق نظریه چامسکی است که ژرف‌ساخت آن دارای دلالت‌های مختلفی است که در آن امام با سبک ادبی و عناصری که منجر به برانگیختن احساسات مخاطب می‌شود، او را در درک آفرینش طاووس و زیبایی آن با رنگ‌های متنوع آن در ژرف‌ساخت برای رسیدن به عظمت خدا آفریننده‌ی بدیع یاری می‌رساند، در روساخت از طاووس و شگفتی‌های خلقت آن سخن می‌گوید. ضرورت و هدف تحقیق در این است که امام خطبه طاووس را سرشار از عناصر گشتاری از جمله حذف، اضافه، جایگزینی، ترتیب و حرکات دستوری نموده و روساخت را ابزاری برای زیرساخت قرار داده است. این مقاله خطبه طاووس امام علی (ع) را با رویکرد توصیفی – تحلیلی و با تکیه بر نظریه زایشی گشتاری نوام چامسکی بررسی می‌کند. نتایج نشان می‌دهد خطبه طاووس جهت بیان شگفتی‌های آفرینش طاووس و عظمت خالق آن، بازتاب‌دهنده نظریه چامسکی و عناصر گشتاری است. از بارزترین و پرکاربردترین گشتارها، گشتار حذف با حذف فاعل جهت تمرکز بر خود حدث برای نشان دادن شگفتی‌های آفرینش طاووس و عظمت خالق، و گشتار افزایشی با افزودن حروف ربط برای ایجاد هماهنگی، همخوانی بین جمله‌ها جهت زیبایی متن با استفاده مناسب از هرکدام گشتارها در جای مناسب خود و اشاره به زیبایی‌های آفرینش طاووس و با استفاده ماهرانه از عناصر بلاغی در خلال این گشتارها مانند تشبیه و استعاره به مثابه نوعی از تشبیه و استفاده ماهرانه و موفق از جمله‌های خبریه فعلیه در زمان ماضی یا حال به صورت تجدد و حدوث و استمرار و گاه با استفاده از جمله‌های اسمیه برای نشان دادن دوام و پیوستگی، که در آن امام اسم را به عنوان مبتدا و محور کلام و توجه مطرح می‌کند، است. بنابراین خطبه سرشار از تشبیه و استعاره است و روساخت و ژرف‌ساخت با یکدیگر هماهنگ هستند، به‌گونه‌ای که روساخت تصویر گویایی از ژرف‌ساخت است.

واژه‌های کلیدی

نهج‌البلاغه، خطبه طاووس، نوام چامسکی، نظریه زایشی گشتاری، ژرف‌ساخت و روساخت.

استناد به این مقاله:

بهمرام، نادر؛ عارفی، احمد و محمودزهی، شهنور. (۱۴۰۴). روساخت و ژرف‌ساخت خطبه طاووس نهج‌البلاغه طبق نظریه زایشی گشتاری نوآم چامسکی. دراسات حديثة في نهج‌البلاغة، ۸(۲)، ۳۱-۴۸.
(DOI:10.30473/anb.2026.74274.1445)

حق انتشار این مستند، متعلق به نویسندگان آن است. ۱۴۰۴ ©. ناشر این مقاله، دانشگاه پیام نور است.

این مقاله تحت گواهی زیر منتشرشده و هر نوع استفاده غیرتجاری از آن مشروط بر استناد صحیح به مقاله و با رعایت شرایط مندرج در آدرس زیر مجاز است.
Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)